نصف ضوء

كان يعلم تمامًا أن الحياة بين جدارين في شق صغير لا يتجاوز حجم أنفاسه ماهو إلا يأس يصاحبه فتات من الأمل، نوافذه صغيرة..صغيرة للحد الذي لا يجعله يرى القمر كاملًا كما كان يشاهده من فوق سطح البناية التي كان يسكن فيها قبل أن يعزل نفسه عن الجميع..

ثمة خيبات جعلته يفقد شهيته في الحياة والناس حتى هؤلاء الأقرب إلى قلبه، بات يهرب من الجميع،بحثًا عن نفسه،وودّ لو كان بإمكانه اختصار أربعة جدران إلى جدارين ونصف نافذة كي لا تتسرب الذكرى من أربع اتجاهات فتهلك أنفاسه.

جلوسه في الزاوية يمنحه الراحة، الكثير من التبغ والدخان الذي أصبح في محيطه أكثر من الهواء ويسمح لكائناته الخيالية مساحة أكبر للهو، والعبث..

يسند بظهره على الجدار صاحب الشق الأكبر ثم يغمض عيناه مستمعًا إلى صوتها الذي لم يفارقه منذ أكثر من خمس سنوات..

أمجد: أترى كيف أصبحت الحديقة كما كنت أحلم بها تمامًا، جانب للشواء وهناك في الزاوية أرجوحة زرقاء والكثير من الأزهار وهنا نافذة غرفتي أقصد غرفتنا،أتعلم

أخبرتني الغجرية ضاربة الودع أننا سنعيش سويًا مائة عام وربما أكثر،ياه كم أشكر الرب على هذا العطاء السخي سنملىء هذه الحديقة بالأطفال والفرح،البالونات الملونة ورسوماتك التي تكدست فو ق بعضها بالمخزن..أمجد، أما آن الأوان لعرضها فلوحاتك تستحق أن يراها الجميع لما أنت هكذا؟!

أمجد هل تسمعني عليك أن تخرج من هذه الشرنقة التي وضعت نفسك فيها..فأنا بحاجة لرجل ينتزع مني أحزاني ويلطخ ثوبي بفرشاة ألوانه، أرجوك كن منصفًا مع نفسك للحظات....

وهنا يختفي الصدى ويهرب لشق الجدار الذي يزداد اتساعًا في كل مرة يتذكر صوتها.. يبتسم ثم ينفض عن ثيابه ماتبقى من غبارها العابر.. نصف قمر هذا فقط ما تسمح به نافذته الصغيرة الضيقة،لم تجبره الحياة على العيش في مكانٍ كهذا، بل كان من اختيار مزاجه العنيد،رسالته الأخيرة لها كانت واضحة ولا تحمل، أي لغز يدفعها للركض خلفه، أو إعادة إحياء ما تبقى منه مرة أخرى... كانت رسالة قصيرة،أقصر من الفستان الذي كانت ترتديه في حفلة يوم ميلادها والذي بدوره انتقى لها اليوم المناسب للفراق حيث لا يمكنها نسيانه أبدًا فاحتفالاتها القادمة بيوم ميلادها ستكون ذاتها هي ذكرى لأوجاعها. تلك الرسالة التي تقوم بقراءتها كل ليلة وكأنها تعاقب نفسها بكلماته القليلة التي كتبها ذات يوم عاصف:

"عزيزتي لست أنا هذا الرجل الذي تنتظري منه أن يلون حياتك ويأتي لك بزهرة بيضاء كل صباح، أنا بحاجة للعزلة والابتعاد لا تبحثي عني كثيرًا لن تجدي ظلي فإن السماء لا تمنحني سوى نصف ضوء".